تأثير ألف ليلة وليلة على أدب نجيب محفوظ
ليالي ألف ليلة نموذجا

الباحثة: أميرة عبد الفتاح

المستخلص ملخص باللغة العربية:

كان لألف ليلة وليلة تأثير كبير على نجيب محفوظ في الكثير من العناصر، منها تلك التي تأثر بها الكُتَّاب الأجانب، ومنها عناصر أُخر.. وكان تأثيرها فيه كبيرا للحد الذي دفعه لاستلهام روايته (ليالي ألف ليلة) منها، وهي تشبه كثيرا قصص ألف ليلة وليلة، وكأنها تكملة لها، من حيث طريقة الحكي، واستخدام الكثير من الألفاظ، والأجواء العامة في الرواية، وأسماء الأشخاص والأماكن، والمناصب، وكيف تسير تطورات الأمور داخل القصة الواحدة، وكيف تتداعى الأحداث على رأس صاحبها، والغرائب والأعاجيب، وأفعال المارد والجان، والحيل والمكائد، والدهاء الشديد للأشخاص، ومن أهم الأشياء الملاحظة بسهولة وبقوة في الرواية هي عنصر الاختبار للنفس البشرية، وطرق الغواية على كل أوجهها، وسوف نتحدث عن كل ذلك في حينه.

وتمت دراسة ذلك من خلال عدة عناصر وهي: (القصة الإطار_ القصة داخل القصة_ العجائبية والغرائبية_ الجنس والأيروسية_ الحب والرومانسية... وغيرها).

ملخص البحث باللغة الإنجليزية:

"One Thousand and One Nights" had a significant impact on Naguib Mahfouz in many elements, including those that influenced foreign writers, as well as other elements. Its influence on him was so profound that it prompted him to draw inspiration from it for his novel "The Nights of One Thousand and One Nights," which closely resembles the stories of One Thousand and One Nights, as if it were a continuation of them in terms of narrative style, the use of many expressions, the general atmosphere in the novel, the names of people and places, the titles, how developments unfold within a single story, and how events cascade upon the protagonist,

along with the wonders and marvels, the actions of the genie and spirits, the tricks and schemes, and the cunning of individuals. One of the most noticeable and powerful elements in the novel is the theme of testing the human soul and the various forms of temptation. We will discuss all of this in due time.

This has been studied through several elements: (the frame story, the story within the story, the marvelous and the strange, gender and eroticism, love and romance, etc.).

المقدمة

نظرا إلى أن قصص ألف ليلة وليلة قصص عربية الأصل إلا أن لها تأثيرا عالميا علn الروائيين كلهم، سواء إذا كان هذا التأثير مباشرا من القصص نفسها، أو تأثير غير مباشر عن طريق تأثر الروائي بروائي آخر قرأ القصص وتأثر بها. وبالتالي فمن الطبيعي أن نتلمّس تأثر الكاتب العالمي نجيب محفوظ بقصص ألف ليلة وليلة، وذلك نظرا لتأثره بالكثير من الروافد العالمية مثل: الفلسفة الأوروبية (الاشتراكية_ الوجودية_ والعبثية_ الماركسية_ وفلسفة التفكيك... وغيرها).

لذا نرصد في هذا البحث تأثر نجيب محفوظ بقصص ألف ليلة وليلة، من عدّة جوانب منها (القصة الإطار_ القصة داخل القصة_ الغرائبية والعجائبية_ الجنس والأيروسية_ الحب والرومانسية_ مكر النساء ودهائهن_ الشعر والطرب... وغيرها). ونرصد ذلك كله من خلال إلقاء الضوء على النماذج المتشابهة بين قصص ألف ليلة وليلة وبين رواية نجيب محفوظ (ليالي ألف ليلة).

إن لألف ليلة وليلة تأثيرا كبيرا وقويا على الأدب العربي، والكُتّاب العرب، أولا من ناحية كونها من أصل عربي، وثانيا من ناحية كونها أدبا حقيقيا مؤثرا وبقوة على كل قارئ له، ولها الكثير والكثير من الإفادات الأخلاقية والحياتية والمواعظ وتجارب الحياة، ووقوف الإنسان أمام نفسه، ومبادئه، وحقيقته الداخلية، واختباراته في الحياة، فلو نظرنا إلى الكثير من قصص ألف ليلة وليلة سنجدها تناقش كيف يختبر الإنسان معتقداته وموروثاته وقيمه في الحياة عن طريق الأحداث والمواقف التي يتعرض لها في حياته، والتي يمكنها أن تقلب حياته رأسا على عقب. فيختبر فيها صدق إيمانه في موقف ما يتعرض فيه ربما للكفر، أو مشكلة ما تؤدي به إلى الكُفرُ بكل ما يعتقده عن الله! فهل سيصمد وسيساعده إيمانه؟ وهل إيمانه صادق بالفعل أم هش ولا يقف على أرض ثابتة فيه؟!

وفي المواقف الأخرى والمصاعب والمحن التي يتعرض لها الآخرون فتختبر بعض مبادئهم، فتضطرنا الرؤية من الخارج إلى الحكم على الآخرين حُكما غالبا لا يمت للعدل بشيء، وكيف ندَّعي الفضيلة والأخلاق، فهل لو وقعنا في محن كتلك التي تعرضوا لها، هل سنتصرَّف وفقا لمبادئنا السامية، وأخلاقنا الحميدة، أم سننحرف عن كل هوّيتنا؟!

لذا فكان لألف ليلة وليلة تأثير كبير على نجيب محفوظ في الكثير من العناصر، منها تلك التي تأثر بها الكُتَّاب الأجانب، ومنها عناصر أُخر.. وكان تأثيرها فيه كبيرا للحد الذي دفعه لاستلهام روايته (ليالي ألف ليلة) منها، والتي لأول وهلة نشعر وكأننا نقرأ قصصا بالفعل من ألف ليلة وليلة، أو كأنها تكملة لها، من حيث طريقة الحكي، واستخدام الكثير من الألفاظ، والأجواء العامة في الرواية، وأسماء الأشخاص والأماكن، والمناصب، وكيف تسير تطورات الأمور داخل القصة الواحدة، وكيف تتداعى الأحداث على رأس صاحبها، وكيف يُكشف عن المستور بغمضة عين وانتباهتها، والغرائب والأعاجيب، وأفعال المارد والجان، و الحيَل والمكائد، والدهاء الشديد للأشخاص، ومن أهم الأشياء الملاحظة بسهولة وبقوة في الرواية هي عنصر الاختبار للنفس البشرية، وطرق الغواية على كل أوجهها، وسوف نتحدث عن كل ذلك في حينه..

١ _ القصة الإطار

وهي العنصر الأول الذي يمكننا الحديث عنه فيما يتعلق بتأثر نجيب محفوظ بقصص ألف ليلة وليلة، وليس هذا فحسب! بل أن نجيب محفوظ استلهم نفس قصة السلطان شهريار مع شهرزاد في آخرها.

وقد كانت القصة الأصلية في ألف ليلة وليلة على النحو الآتي: فذات يوم اشتاق شهريار لأخيه شاه زمان فبعث لإحضاره حتى يراه، ولما تجهز أخوه للسفر وخرج من قصره ولم يزل في الطريق إذ تذكر أنه نسى شيئا في قصره فرجع ليأخذه ولما دخل إلى مخدعه إذا به يجد زوجته وعبدا أسود في الفراش سويا، فقتلهما وأكمل رحلته لزيارة أخيه شهريار، وبعد عدة أيام لم يستطع فيهم الأكل كثيرا ونحل جسده واصفرّ وجهه لما فيه من ألم نفسي جراء ما لاقاه من خيانة زوجته، عرض عليه شهريار أن يذهبا في رحلة سويا حتى يتحسن لكنه رفض، فذهب شهريار مع حاشيته وتركه في القصر، وبعد مرور الساعة كان شاه زمان ينظر من نافذة تطل على بستان أخيه الكبير، وإذا به يجد مجموعة من الجواري والعبيد وعلى رأسهم زوجة أخيه، ذهبوا لمكان وخلعوا ملابسهم، ونادت زوجة أخيه على عبد اسمه مسعود، ولما أتاها نكحها على مرأى ومسمع من الجميع، ثم سرعان ما تفشى الأمر بين جميع العبيد والجواري، واستمر الأمر طويلا. فلما رأى شاه زمان ذلك عرف أن الأمر ليس مصابه بمفرده، وأن ما مرَّ به أفضل وأقل مما يمر به أخوه بكثير، فاسترد صحته وتورد وجهه وبدأ يأكل بشهية، ولما رجع شهريار سأله واستحلفه أن يخبره سبب مرضه واصفرار وجهه وسبب استرداد صحته،

فحكى له شاه زمان ما كان من أمر زوجته وزوجة أخيه.. فرغب شهريار أن يرى بنفسه، وسرعان ما طلب تجهيز حاشيته للخروج في سفر آخر، وتخفى في غرفة أخيه حتى يرى من شرفته ما يجري من أمر زوجته، وبعد مرور ساعة تكرر حدث الجواري والعبيد وامرأته مجددا. وبعد حدث آخر من سفر الأخوين للبحث في أمر خيانة النساء أو وفائهن، ومقابلتهما (لسيدة الحرائر) _ سنتحدث عنها في عنصر حيل النساء ودهائهن_ أيقن حينها شهريار بخيانة النساء جميعهن، فأمر بقتل زوجته وكل الجواري والعبيد، وتحول لسافك للدماء، وكل ليلة يتزوج عذراء يفض بكارتها ويقتلها.

أما عن رواية نجيب محفوظ (ليالي ألف ليلة) فتبدأ بالحديث عن مرور ثلاث سنوات من حكي الحكايات، التي انتهت الآن، وآن الأوان للحكم على شهرزاد بتكملة حياتها مع السلطان كزوجة طبيعية مثل كل الزوجات، أو بنهاياتها بالقتل على يدي السيَّاف مثلما تم قتل الفتيات كلهن اللاتي تزوجهن قبلها، وهي نفس القصة الإطار التي بدأت بها ألف ليلة وليلة، إلا أن في ألف ليلة وليلة بدأت القصة بالسبب الرئيسي الذي أدى بالسلطان إلى قتل كل تلك العذارى، أي بقصة خيانة زوجته الأولى، وكذلك زوجة أخيه. وقد تقرر مصير شهرزاد بالاحتمال الأول وهو بقاؤها على قيد الحياة زوجة شرعية معترف بها وأم لولده الوحيد. ومنها تنحدر بقيّة قصص الرواية، وإن كانت بقيّة القصص لا تأتي على لسانها هي شخصيا، وكأن تلك القصص كما لو كانت (تكملة لألف ليلة وليلة).

فلم تكن شهرزاد في بداية الرواية تحكي للسلطان شهريار قصة ما، بل دار الحديث بينها وبين أبيها، الذي أتى إلى غرفتها حتى يهنئها بالعفو عنها وبقاءها على قيد الحياة، وحكت له كيف أنها حزينة وخائفة من رجل كالسلطان استطاع قديما أن يقتل كل تلك العذارى وكل هؤلاء الأبرياء بقلب من حجر! فصبرها أبوها، وأخبرها أن ثقته بالله لم تتزعزع، فردّت عليه:

"أما أنا فأعرف أن مقامي في الصبر كما علمني الشيخ الأكبر"[1] ومن هنا انتهت إلى حد ما قصة شهرزاد، وبدأت قصة بسيطة من ثلاث صفحات، تُعرِّف بالشيخ عبد الله البلخي، وتعطي نبذة عنه، وأنه شيخ الطريقة، والذي تتلمذ على يديه معظم شخصيات الرواية، ومنه إلى مجرد تعريف بسيط ب (مقهى الأمراء) المكان الأساسي الذي سيرافقنا طيلة الرواية حيث تدور فيه كثير من مشاهد الرواية.

٢_ العجائبية والغرائبية:

وهي العنصر الثاني والرئيسي الذي استلهمه نجيب محفوظ من قصص ألف ليلة وليلة، وهو العنصر المتعلق بالجان والمردة وما وراء الطبيعة، الغرائبيات كلها التي تعلو على العقل والمنطق والطبيعي في الحياة البشرية،

ربما يمكننا اعتبارها مما وراء الطبيعة. وقد تداخل هذا العنصر في معظم قصص رواية نجيب محفوظ، ويعتبر هو العنصر الذي لديه اليد العليا في تصريف الكثير من الأمور في القصص.

وأول ظهور للعجائبية في رواية نجيب محفوظ (ليالي ألف ليلة) نجده في قصة (صنعان الجمالي)، والتي تُعتبر أول قصة بأحداث متتالية متسلسلة وتفاصيل تأخذنا فيها لحياة صنعان نفسه. حيث كان نائما وإذا به يستيقظ فجأة ويجد أن الظلام ما زال مسيطرا على المدينة أي أن الشمس لم تشرق بعد فإذا به **"مد ذراعه ملتمسا موقع الشمعدان _ فارتطمت بكثافة صلبة فجفل متسائلا:**

_ ما هذا؟

جاء صوت غريب، لم يطرق أذنيه مثله من قبل.. لا صوت إنسان هو ولا صوت حيوان.. اجتاح حواسه وكأنما انتشر في المدينة كلها.. ونطق الصوت في غضب:

_ دست رأسي يا أعمى!"[٢].

وكان هذا هو صوت العفريت (قمقام) من أهل المدينة. ولأن صنعان داس على رأسه فقرر قمقام أن يعاقبه. ومن هنا تبدأ الحكاية الغريبة والحديث العجيب بين انسي وعفريت آذاه دون علم أو رغبة منه!! ودار الحديث بينهما، وانتهى بأن طلب قمقام من صنعان أن يقتل (علي السلولي) حاكم الحي حتى يعفو عنه. وذلك لأن علي السلولي استأنس قمقام بالسحر الأسود ويطلب منه أشياء يرفضها ضمير العفريت!! لذا قرر العفريت قتل السلولي على يد التاجر صنعان. وبعد محاولات من صنعان أن يقنع العفريت بالإقلاع عن الفكرة وافق على رغمه "عند ذاك شعر صنعان بألم حاد في ساعده فصرخ صرخة جرفت أعماقه"[٣]، وتلك كانت العلامة الفارقة بين الحقيقة والخيال، بين الطبيعة التي اعتادها البشر وكذلك صنعان، وبين العجائبية والسحر والجان الذي رُبما لا يُصدّق من قِبَل الكثيرين. حيث استيقظ على صوت زوجته، وأثناء وضوئه اكتشف في ساعده اليُسرى أثر جرح كالعضة "ليس وهما ما يرى فمن مغارز الأنياب بضَّ الدم"[٤]، فاختلط عليه الأمر! أكان حلما أم حقيقة؟! لكن الجرح في يده دلالة حقيقية لا تدع مجالا للشك في أن ما دار بينه وبين العفريت حقيقة ولا خيال ولا حلم!

ثم تستمر الأحداث فيما بعد وتسرد كيف أثرت فيه تلك الحادثة وكيف أثارت أعصابه ومزاجه، الأمر الذي دفعه لشرب الكثير من المنزول يومها، وأن يهيم على وجهه في الطرقات، وتلك الحالة المزاجية أدت إلى ارتكابه جريمة اغتصاب لفتاة في العاشرة من عمرها، وأنقذه العفريت منها، ولكن تم القبض على الكثيرين ووجِهَت إليهم تهمة اغتصاب الفتاة ظلما. وفي النهاية قتل صنعان الجمالي علي السلولي في عقر داره، وحينها لم ينقذه العفريت، لأنه بقتل علي السلولي انتهى السحر وتحرر العفريت وأصبحت أخلاقه لا تسمح له بإنقاذ مجرد مغتصب وقاتل.

وسرعان ما قُبِضَ عليه وحُكِمَ بعدما اعترف على نفسه بكل جرائمه من اغتصاب البنت وخنقها وقتل علي السلولي، وأن السبب الرئيسي هو وجود العفريت، فلم يصدق أحد حكاية العفريت، وحُكِمَ عليه بالقتل وقطع رأسه وتعليقها على باب داره، ومصادرة أمواله، وتشريد أهله، واعتبار أي مساعدة لأسرته من أي أحد هي تحدي للإمارة.

وقصة التاجر صنعان الجمالي في بدايتها تتشابه مع بداية حكاية (التاجر مع العفريت) من قصص ألف ليلة وليلة، وهي القصة الأولى التي حكتها شهرزاد في أول ليلة لها مع السلطان، إذ روت أن أحد التجار كثير المال والمعاملات والشهرة كان يجوب أحد البلدان في طلب رزقه، ولما اشتد عليه الحر جلس تحت شجرة، وأخرج من خرجه كسرة وأكلها، ثم أخرج تمرة ولما أكلها رمى النواة، وإذا به يرى عفريتا طويلا وبيده سيف يريد أن يقتله فلمَّا سأله عن السبب قال له أنه لما رمى النواة جاءت في صدر ولده وقتلته، وهو يريد أن يقتص لولده. إلخ. ففي القصتين كانت الأحداث بين تاجر وعفريت، وكان خطأ التاجر في البداية غير مقصود، وكان عليه أن يُقتل جراء خطئه في حق العفريت.

٢_ أما عن المرة الثانية التي ذُكِر فيها قصة تتعلق بالغرائبية والعجائبية، كانت قصة (جمصة البلطي) كبير الشرطة مع العفريت سنجام، حينما حاول جمصة ممارسة هوايته في الصيد أول مرة بعد موت صاحبه التاجر (صنعان) ولم يصطد شيئا سوى كرة معدنية، فرماها في باطن القارب، وإذا بها يخرج منها دخان كثيف، يُسفر عنه عفريت كان قد سُجن في هذا القمقم (الكرة المعدنية) منذ عهد النبي سليمان، والآن قد حرره جمصة، وعلى الرغم من تحريره هذا إلا أن العفريت سنجام قرر أن يعاقبه أيضا. وحينما اقترب منهما في أثناء حديثهما عفريت آخر اسمه (قمقام) وبعد نقاش دار بين العفريتين فذهبا للاحتفال بتحرر سنجام فوق جبال قاف، تذكر جمصة اسم العفريت الذي ذكره التاجر صنعان وكان السبب فيما آلت إليه مآله، فعلم أن صديقه مات ضحية تعيسة، وأنه كان صادقا.

وهناك تشابه بين فكرة الكرة المعدنية التي أخرجها جمصة البلطي وكان بها عفريت محبوس منذ ألف عام من أيام النبي سليمان، وبين فكرة العفريت في قصة (الصياد مع العفريت) في الليلة الثالثة، حيث إن الصياد في المرة الرابعة التي رمى فيها شبكته أخرج "قمقم من نحاس أصفر ملآن وفمه مختوم برصاص عليه طبع خاتم سيدنا سليمان"[٥]، لكن النبي سليمان في قصة ألف ليلة وليلة كان ميتا منذ ألف وثمانمائة سنة، والعفريتان في القصتين أرادا إيذاء من أخرجهما من البحر جزاء لتخليصهما من القمقم والسحر. لكن القصتان مختلفتين فيما عدا ذلك.

ولما قرر جمصة البلطي أن يقتل (خليل الهمذاني) حاكم الحي، لما فيه من شرور وفساد. وبالفعل قتله، وشعر بأنه تطهر من الدنايا وسمى فوق ذنوبه وسيئاته وشروره في الحياة وفي حق الأبرياء. وسرعان ما قُبِضَ عليه وسيق للنطع وقُطع رأسه وُعلِّق فوق داره، وصدرت أمواله، وهنا كانت المفاجأة!!

إذ إنه اكتشف بعد موته، أن الذي سيق للنطق وقطعت رأسه ما هو إلا صورته فقط، وشكله القديم أو جسده القديم، أما هو!! فقد تشكل في جسد جديد بشكل جديد (فهو حبشي في الأربعين من عمره) وتلك كانت المعجزة التي تدخل فيها سنجام حتى يكافئه جزَّاء ما حرره من أسر سليمان منذ أكثر من ألف سنة.. "أجل. إنه عبد الله الحي وجمصة الميت معا.. تجربة غريبة لم يمارسها إنسان من قبل"[٦]. وفي تحوله ذاك آثر استخدام عمله الجديد كحمّال يدخل بيوت الكبراء، ودهاءه ككبير شرطة قديما في أن يقضي على الفساد والفاسدين، وأول ما بدأ كان بقتل "بطيشه مرجان" كاتم السر.

٣_ ومن الغرائب والعجائب أيضا في الرواية، هو وجود شخص يُدعى (عبدالله البحري) وهو من مملكة الماء اللانهائية التي تحقق بها الكمال، وقد ظهر لعبدالله الحمال أو عبد الله البري عقب قتله لعدنان شومة كبير الشرطة، حتى ينقذه من بحث الشرطة عنه لتقتله جزاء ما قتل عدنان وغيره من الرجال، وبالفعل أمر عبد الله البحري عبد الله البري الحمال أن يخلع ملابسه وينزل إلى ماء البحر البارد حتى ينجو من بطش الشرطة، وحينما نزل عبد الله البري الماء، بعد قليل سمع صوت يحادثه أن أخرج الآن للبر آمنا، ولما عاد، نام ليلته، وفي الصباح أخرج مرآته ونظر إلى وجهه فرأى شخصا غريبا مختلفا تماما عن جمصة البلطي وعبدالله البري الحمال.

٣_ الجنس والإيروسية:

أما عن العنصر الثالث الذي تأثر فيه نجيب محفوظ بقصص ألف ليلة وليلة هو عنصر (الجنس والإيروسية)، وهو العنصر الإنساني الأهم بالنسبة للبشرية، كونه المسؤول الأول عن استمرار البشرية إن تمَّ في وضعه الطبيعي (اجتماع رجل وامرأة)، إلا أنه كما ناقشنا الأمر في المبحث الأول أن ألف ليلة وليلة ذكرت كل أنواع الجنس التي مرت على البشرية في خلال قصصها، بما فيها من علاقات طبيعية، وشاذة (رجل وامرأة_ امرأتان_ رجلان_ الجنس مع الأطفال_ الجنس مع الحيوانات) في حكايات مختلفة ولأسباب مختلفة، مثل سبب دهاء المرأة وقدرتها على فعل كل شيء تريده رغم أنف الجميع حتى لو كان عفريتا في قصة (سيدة الحرائر) مع السلطان شهريار والسلطان شاه زمان لما أجبرتهما على نكاحها وإلا أيقظت العفريت ليقتلهما، ولما فعلا أخبرتهما بقصة الكيس المليء بالخواتم الخاصة بالرجال كلهم الذين نكحوها رغم أنف العفريت الذي كلما نام فعلت فعلتها مع الرجال وجمعت الخواتم.

وأيضا قصة زوجة السلطان شهريار الأولى في حفلة الجنس الجماعي التي كانت تقيمها كلما سافر خارج البلاد مع الجواري والعبيد في بستان القصر، وكانت السبب في قتله كل عذارى السلطنة. وقصة خيانة زوجة السلطان شاه زمان مع العبد الأسود الذي رآها السلطان شاه زمان بعينه في الفراش فقتلهما سويا.. وغيرها الكثير من القصص المتعلقة بالجنس وبأنواع مختلفة منه...

١ــ أما أول ظهور وذكر للجنس في رواية نجيب محفوظ (ليالي ألف ليلة) فكان نابعا من العنصر الثاني الذي تأثر به نجيب محفوظ بقصص ألف ليلة وليلة وهو (العجائبية والغرائبية)، فحينما عضَّ العفريت قمقام التاجر صنعان في الحلم الذي كان في الوقت نفسه حقيقة، أثر ذلك كثيرا على مزاج وطاقة صنعان، وشغل تفكيره كثيرا خاصة مع الإصابة بالجرح في يده، مما دفعه لالتهام قدر كبير من المنزول، وراح يهيم بعدها في الطرقات على غير هدى لا يعرف وجهته، ولا يعرف شيئا سوى رغبته أن يجد ما يُصرِّف الهم عن نفسه، فسار طويلا وبدأ في تذكر الكثير من نساء من أهله شبعن موتا، وتخيلهن في أوضاع جنسية مثيرة لشهوته، وشعر بالأسف لأنه لم ينل منهن وطره!!

وسرعان ما وجد فتاة صغيرة في العاشرة من عمرها، تسير متجهة إلى منزلها، فحملها وذهب بها لمكان مظلم تحت سلم ما، واغتصبها وقتلها، تحت تأثير غضبه الشديد مما مرَّ به مع العفريت، وما شربه من منزول، وما أثارته أخيلته الجنسية مع تلك النساء من أهله.

فنجد هنا شكلين من أشكال الجنس في قصة صنعان، فالنوع الأول هو تذكره لنساء من أهله شبعن موتا، مما أثارت فيه شهوته بشدة الأمر الذي دفعه للشكل الثاني من أشكال الجنس وهو اغتصاب فتاة في العاشرة من عمرها.

٢ــ يأتي ذكر الجنس وما يتعلق به أيضا في قصة (نور الدين ودُنيا زاد)، لما فعلته بهما العفريتة زرمباحة والعفريت سخربوط، حيث جمعتهما في علاقة زوجية في الحلم، لكنها في الوقت نفسه حقيقية، أسفرت في نهايتها عن حَمل دنيا زاد بابن نور الدين في الحلم والحقيقة في آن واحد "انفتح الباب.. دخل نور الدين في أبهى حلة دمشقية وعمامة عراقية ومركوب مغربي.. تقدم منها كالبدر في تمامه، وجلا القناع عن وجهها.. ركع على ركبتيه.. ضم ساقيها إلى صدره.. تنهد قائلا:

ــ ليلة العمر يا حبيبتي..

ومضى ينزع ملابسها قطعة قطعة في صمت المخدع المليء بالألحان الباطنية"[٧].

وحينما اكتشفت دنيا زاد حقيقة الحلم، وأنه ليس حلما إطلاقا وأن ما تم بينها وبين ذلك العريس كان حقيقيا رغم أنه حلم في الوقت ذاته "فتحت دنيا زاد عينيها وقد نضحت الستارة بالضياء.. وجدت نفسها مغموسة في ذكريات النبع المبارك.. شفتاها نديتان بالقبل، أذناها ثملتان بأعذب الكلمات، خيالها مفعم بحرارة التنهدات.. العناق لم يبرح جسدها ولا الحنان.. هذه هي الصباحية.. ولكن...؟ سرعان ما هبت عليها رياح الوعي الصارمة.. أين العريس؟ ما اسمه؟ متى تمت مقدمات الزفاف؟ رباه.. لم تُخطب ولم تزف ولم يجر في القصر حفل.. إنها تُنتزع من الحلم كمن يساق إلى النطع.. أكان حلما حقا؟"[٨]..

٤ــ إظهار عكس ما في الباطن:

أما عن العنصر الرابع الذي استلهمه نجيب محفوظ من قصص ألف ليلة وليلة وهو عنصر مهم في حياة البشرية ككل، وهو إظهار عكس ما يُبطن الإنسان، وهي حيلة يستخدمها الناس جميعهم، بالتحايل بالتقوى والأخلاق والمعاملة الحُسنى والوجه الحسن والعُرف وغيرها، وكل ذلك ما هو إلا هيكل خارجي أو شكل خارجي، أو صورة خارجية تستخدم فقط لخداع الناس حتى يحصل الشخص على ما يُريد من شهوات أيا كان نوعها، مثل قصة (التاجر والكلبتين) من قصص ألف ليلة وليلة، وهي قصة من قصة أخرى متعلقة بعفريت أراد قتل تاجر في قصة (التاجر مع العفريت)، حيث إن هذا التاجر كان له أخوان، وقد ورثوا المال عن أبيهم، ومنهم من فتح دكان في بلده وتاجر وكسب الكثير، وآخر سافر مدة من الزمن ورجع صفر اليدين، ثم أكرمه أخوه صاحب الدكان ورزقه مما رزقه الله وقسم المال فيما بينهما، ثم ألحَّ الأخان على أخيهم صاحب الدكان بالسفر للتجارة ولكنه رفض، وحاولوا إقناعه مدة ٦ سنوات إلى أن أقتنع، وقسّمَ ثروته الـ٦ آلاف، ثلاثة آلاف للسفر والتجارة، وثلاثة يدفنهم حتى متى ما رجعوا يكون لديهم ما يكفي لاحتياجاتهم، ولما سافروا ونجحوا في تجارتهم وجنوا كثيرا من الأموال، ذات يوم وجد الرجل صاحب الدكان جارية تطلب منه حسنة وهي أهل لها، وهي جميلة، فعطف عليها فوهبت نفسها له وتزوجها، وأحبها حبا جما، وشُغِلَ عن كل شيء بها، فغار أخواه منه وأضمروا له الشر وأرادا قتله وسرقة كل ماله، ثم ألقوه في البحر، وإذا بزوجته تلك الجارية تتحول لجنية لأنها في الأصل جنية تنقذه من البحر، وتضمر لهما الشر، وبعد حكايات فيما بينهم ونقاشات تحول أخويه إلى كلبتين مدة عشر سنوات عقابا على ما أضمرا له من شر دفين، وذلك لأنه رفض أن تقتلهما بعدما كانت تصر على قتلهما.

وقد ظهرت في رواية نجيب محفوظ (ليالي ألف ليلة) على عدّة، أوجه، أولها هو وجه السلطان الذي نحار فيه نحن كقرّاء، وكل شخصيات الرواية نفسها، هل بالفعل تغيّر وصار تقيا ورعا يعرف الله؟! أتاب فعلا لله؟! هل تطهّر من آثامه؟! هل يؤمن جانبه؟! هل يطمئن الإنسان إليه؟! أم يحذر ويحاذر؟! فقد كان طيلة الرواية في تردد بين الاثنين لا يرسى على بر محدد، ولا يتخذ طريقا بعينه، ولا يُحدد موقفه، وإن كان (ظاهره)، فقط (ظاهره) يبدو وكأنه تغير، وعاد وتاب لله عن كل ما سفك من دماء العذارى وكذلك المؤمنين والمظلومين.

وأوضح صورة وأبسطها يمكننا ذكرها هنا هو موقفه مع جمصة البلطي الذي قتل حاكم الحي (الهمذاني)، ففي حديث دار بين السلطان والوزير دندان، قد أخبر دندان أنه أوشك على الاكتفاء فقط بسجن جمصة البلطي، لولا أنه لمس فيه تحديا له لذلك قتله!! فهل بذلك عدل ما؟! هل تغيّر بالفعل؟! أم أن الكِبر دائما هو سيد القضية؟! حتى أن دندان في حديثه مع ذاته عرف أن السلطان لم يتغيّر منه سوى ظاهره فقط.

٥_ الغناء والطرب والشعر:

وهم عناصر مهمة في ألف ليلة وليلة، وقد ذكروا في مواضع مختلفة، أو مناسبات مختلفة، فإما طرب بالموسيقى والآلات الموسيقية، أو طرب بالموسيقى والإنشاد أو الغناء، وذلك في فرح، وربما إنشاد أو شعر في حزن وهكذا. وفي قصة (سيدة الحرائر) مع شهريار وأخيه شاه زمان من ألف ليلة وليلة، لما حكت لهما حكايتها مع العفريت، أرادت أن تخبرهما بأن للمرأة قوة ذكاء يمكنها أن تخدع أي أحد فقالت: و"أنه لا يعلم أن المرأة إذا أرادت شيئا لا يعجزها أي شيء للحصول على مبتغاها، مثلما قال القائلون:

"لا تأمنن إلى النساء ولا تثـق بعهودهـن
فرضاؤهن وسخطهن متعـلق بفروجهـن
يبـدين وداكاذبـا والغدر حشو ثيابهن
بحديث يوسف فاعتبر متحـذرا من كيـدهن
أو مـا ترى إبليـس أخرج آدما من أجلهن "[٩]

مثلما حدث مع شهرزاد لما وجدت أباها الوزير غضبان بسبب أمر السلطان شهريار في أن يأتي بعذراء حتى يتزوجها ويفض بكارتها ثم يقتلها، لكنها لم تكن تعرف السبب بعد، فسألته ما لي أراك متغيرا ومهموما، وقد قال بعضهم:

"قل لمن يحمل همـا أن همـا لا يـدوم
مثل ما يفنى السرور هكذا تفنى الهموم"[١٠]

لذا كان من العناصر الرئيسية التي استلهمها نجيب محفوظ، وذلك لما فيها من جانب عاطفي في نفوس البشر، إذ إننا نجد الكثير والكثير من أبيات الشعر في قصص ألف ليلة وليلة، وكانت عاملا مؤثرا في نفوس شخصيات القصص أولا، ثم في نفوس القراء ثانيا، ومنها لنفوس المستلهمين المتأثرين المنتجين لنصوص أو أدب مشابه أو أدب متطور بسبب تطور خيال الكُتَّاب نتيجة قراءاتهم للنصوص.

نجد أول علامات تأثر نجيب محفوظ بذلك العنصر في قصة عبد الله الحمال، وقت زواج (فاضل صنعان) من أكرمان بنت الست رسمية وجمصة البُلطي، في الربع الفقير، حيث قامت حسنية أخت فاضل بإحياء زواج أخيها بما تُجيد من الشعر والغناء والصوت الحسن، وأنشدت تقول:

"يترجم طرفي عن لساني لتعلموا
ويُبدي لكم ما كان صدري يكتم
لما التقينا والدموع سواجم
خرست وطرفي بالهموم تكلم"[١١].

بعدها بقليل طرق بابهم ثلاثة تُجار غرباء جاءوا لما سمعوا الغناء والصوت أعجبهم، فجالسوهم وأكلوا سويا، ثم طلبوا أن تنشدهم من جميل شعرها وصوتها مجددا، فأنشدت:

"لو علمنا مجيئكم لفرشنا
مهجة القلب أو سواد العيون
وفرشنا خدودنا والتقينا
ليكون المسير فوق الجفون"[١٢]..

٢ــ وذكر الطرب ثاني مرة بعجالة في حكاية (عجر الحلاق) مع جلنار أخت يوسف الطاهر حاكم الحي، لما ذهب إليها عجر الحلاق أول مرة، وظهرت أختها زهريار، وطلبت منها جلنار أن تعزف على العود حتى يتم كمال المجلس.

٣ــ وجاء ذكر الطرب والصوت الجميل والشعر أيضا في قصة (قوت القلوب) جارية (سليمان الزيني)، فبعد أن أطلق سراحها وزودها بالمال، عاشت وحيدة تعاني الوحشة، وفي أحد الأيام سمعها السلطان ودندان وشبيب رامة في تنكرهم كدراويش من رجال الله وهي تعزف على أوتار عود وصوت شجي يناجي:

"**من عادة الدهر إدبار وإقبال.**
فما يدوم له بين الورى حال
كم أحمل الضيم والأهوال يا أسفي
من عيشة كلها ضيم وأهوال"[١٣].

ولما سألها السلطان المتنكر عن حكايتها رفضت تماما الإفصاح عنها.. ولما خرجوا من عندها، أمر السلطان وزيره أن يأتيه بسرها.

٦ــ حيلة خروج الحاكم متنكرا لتفقد حال الرعية والتسلية:

وهي من العناصر المهمة أيضا في قصص ألف ليلة وليلة والتي تأثر بها أيضا نجيب محفوظ في روايته (ليالي ألف ليلة)، فكثيرا ما قرأنا في قصص ألف ليلة وليلة خروج هارون الرشيد في جوالات ليلية مع وزيره لتفقد حال الرعية، ومعرفتهم عن قرب، وأول ظهور لذلك العنصر كان في قصة (عبد الله الحمَّال)، ليلة زواج فاضل صنعان من أكرمان ابنة جمصة البُلطي، فأنشدت حسنية بعض أبيات الشعر بصوتها الجميل لزواج أخيها، فسمعه ثلاثة تُجار كانوا في الحقيقة هم السلطان ووزيره دندان وشبيب رامة. ولما سأل السلطان المتنكر في زي تاجر عن أصل فاضل صنعان في معرض حديثهم فقال له عبد الله الحمّال أن الجميع يعلم بقصة صنعان الجمالي أبو فاضل.

٢ــ والمرة الثانية التي ذكر فيها نجيب محفوظ حيلة خروج الحاكم ووزيره ليلا لتفقد حال الرعيَّة والتسليّة كانت في قصة (نور الدين ودنيا زاد)، فقد قابلا نور الدين في إحدى الطرقات القريبة من منزله، وكانا متنكرين في زي تُجار غرباء (عز الدين السمرقندي، وخير الدين الأنسي) من سمرقند، وذلك بعدما عاد من جانب البحر وحادث العابد الغامض الذي دفعه لحيرته أكثر، ولكنه نصحه بالبحث وعدم اليأس، وأثناء سيره في الطرقات كان يُناجي الله بنجاته "خفف عذابي يا لطيفا بالعباد"[١٤]، فدعياه لكي يقص عليهما حكايته، فاستضافهما في بيته وقصَّ عليهما ما حدث له، وصدقوه. وثاني يوم سرعان ما كلَّف السلطان المنادين بالسير بالحكاية ليجمع بين العاشقين. وبالفعل جمع بينهما.

٣ــ وثالث خروج للسلطان وشبيب رامة والوزير دندان كانوا متنكرين في زي دراويش من رجال الله، وسمعوا أثناء سيرهم صوت عذب يعزف على العود، فأعجبهم وطرقوا الباب واستأذنوا في سماع الطرب مجددا وكان البيت لقوت القلوب جارية سليمان الزيني، وطلبوا معرفة قصتها، ولكنها رفضت تماما. فطلب السلطان من وزيره عند خروجهم معرفة سرها.

٧ــ العشق والرومانسية:

وهو عنصر من العناصر المهمة وتيمة أساسية في قصص ألف ليلة وليلة، فكثيرا ما نجد تلك القصص تتحدث عن حالات العشق والرومانسية والوجد والحرمان وصعوبة التلاقي، أو صعوبة الزواج، ومنها ما ينتج عنه موت أحد العاشقين أو كلاهما، أو ما ينتج عنه هروبهما سويا، أو زواج أحدهما قهرا من شخص آخر، أو أن يتم التعارف بينهما بعد زواج أحدهما فتصبح العلاقة صعبة المنال، أي أن غالبا ما تكون حالات الحب والعشق والهيام والوجد والرومانسية هي حالات تُكلل بالصعوبة الجمة، وربما الاستحالة أيضا..

مثل قصة (**ابن الملك محمود صاحب الجزائر السود**) التي حكاها لأحد الملوك الذي أتى إليه حتى يستخبر عن أمر السمك الملون في البحر وسر الجزائر الخالية من الناس، وابن الملك تقلَّد الملك بعد موت أبيه، وكان شابا جميلا متزوجا من ابنة عمه، وكان يُخيل إليه أنه يعيش قصة حب جميلة مع زوجته وحياة سعيدة، إلى أن أتى يوما ورغب في النوم، وسمع من جاريتيه خبر زوجته التي تخونه، وأراد أن يتأكد بنفسه، وذهب وراءها يومها وعرف مكان العبد ورآها كيف يعاملها بالسوء وهي على عهدها معه بالحب، واستل سيفه وضربه في عنقه وأصاب أحباله الصوتية ومنعه من الكلام نهائيا. واستمرت هي في حزنها عليه مدة سنة، ولما قرر مصارحتها بعلمه بخيانتها وقرر قتلها فإذا بها قامت ورمته بماء مسحور فحولته لنصف بشري ونصف صخر، وسحرت كل ناس مدينته لسمك في الماء على أربعة ألوان كل لون لديانة (المسلمين، المسيحيين، اليهود، المجوس)، وحولت الجزائر السود إلى أربعة جبال وجعلت بينهم بركة ماء فيها السمك الذي هو في الأصل ناس تلك الجزائر. وظلت يوميا تأتي للعبد بالشرب والمسلوق والبكاء على حاله، وتأتي لتجلد الملك الشاب ١٠٠ جلدة عقابا له على ما فعله بعشيقها العبد الأسود. إلى أن أنقذه الله على يد أحد الملوك الذي جاء ليعلم سر السمك الملون، وقتل العبد الأسود وانتحل شخصيته، وأمرها بفك السحر عن الملك الشاب وعن ناس الجزائر السود.

١ــ وقد ذُكِر الحب والعشق كثيرا في رواية نجيب محفوظ (ليالي ألف ليلة)، وغالبا أيضا ما كان الأمر صعبا للغاية، مثل حب جمصة البُلطي لحسنية ابنة فاضل صنعان، وقد كان جمصة يُريد أن يكلِّم أباها في أمر زواجه بها، لكن حادثة موت صنعان سبقت جمصة في الأمر، وبعد موته لم يستطع أن يتزوجها وذلك لأن أي مساعدة أو تقرب من أسرة صنعان الجمالي يُعتبر تحديا للدولة!

٢ــ وأحبَّ كرم الأصيل دنيا زاد، ذلك الحب المستحيل في نظره، لأنه ربما يملك الملايين، إلا أنها أخت السلطانة ولا تُشترى بالمال، بالإضافة لكونه يُشبه القرد، وقصير القامة، وهي لن تقبل إلا بشاب أفضل منه بكثير، كونها أخت السلطانة، ومن ذا الذي يُصاهر السلطان بذاته.. إلا أن الحظ حالفه حينما طلب السلطان منه سُلفة ٥ ملايين من الدنانير تُرد حينما يُجمع الخراج، فتشجع وطلب يدها من الوسيط الذي كان بينه وبين السلطان وهو (يوسف الطاهر) حاكم الحي، وحينها بسبب تلك الصفقة وافق السلطان وأبوها الوزير دندان وبالفعل أصبحت الزوجة الشرعية له، رغما عن أنفها، حتى قررت الانتحار وكتبت رسالة للسلطان تعتذر فيها عن انتحارها بسبب عدم قدرتها على الزواج به. ولكنها لم تنتحر في نهاية الأمر. إلا أن خبر انتحارها الزائف أحزن كرم الأصيل بشدة للدرجة التي قتلته!! ثم وُجِدَ ميتا في إحدى الليالي بالقرب من منزله.

٣_ وأحبَّ عجر الحلاّق لحسنية صنعان أخت فاضل، وقد طلبها من فاضل لنفسه، لكن فاضل رفض من توه، معتذرا بأن أحدهم سبقها وطلب يدها. وكذلك تعلق قلبه بقمر أخت حسن العطار، وفي الحالتين كان حبا ميؤوس منه، مليئا بالعذاب، والألم لكنه لم يفقد الأمل في قمر أخت حسن العطار.. ومرَّت الأيام وأتيحت له فرصة طلب يدها، رغما عن أنف أخيها، وبعد أحداث عُضال فسخ عقد الزواج. وقبلها أحب عجر الحلاق جلنار وأختها زهريار أختا يوسف الطاهر حاكم الحي.

٤_أما عن قصة الحب الرومانسي الأهم والأعمق كانت من نصيب نور الدين بياع العطور ودنيا زاد أخت السلطانة. وكانت بدايتها هي لعبة العفريتة زرمباحة والعفريت سخربوط، حيث جمعتهما في حلم كزوجين، وسرعان ما تحول الحلم إلى حقيقة، جعلتهما يحبان بعضهما البعض حبا جما، يصعب فيه اللقاء، ورغم أنهما تلاقيا في الحلم الذي كان له أثر مادي فادح وهو حمل دنيا زاد في ابن نور الدين، إلا أنهما كانا يعلمان أنهما شخصان حقيقيان ويمكنهما اللقاء في أرض الواقع، وإن صَعُبَ الأمر عليهما. "هل يمكن أن تكون حبيبته إحداهن؟ إنها موجودة على أي حال ما يُداخله شك في ذلك.. موجودة في مكان ما وفي هذا الزمان دون غيره"[١٥].

وعاشا في لوعة الحب والاشتياق لا يدريان كيف يمكنهما التلاقي "لعل أشواقنا تهيم في جنون مُجدَّة وراء التلاقي.. لعل الذي صنع معجزة الحلم يعد بمعجزة أخرى تأويله وتحقيقه.. لا يمكن أن يتلاشى حلم كهذا كأن لم يكن.. لا يمكن أن تشتعل أشواق بهذه القوة دون ما سبب أو غاية.. لا بد أن يصل العاشق.. بالعقل أو الجنون لا بد أن يصل.. ولكن ما أضيع الباحث بلا دليل!"[١٦]، وكان ذلك الحب الحزين له كبير الأثر في نفسيهما وحالهما الذي تبدل تماما بعد ذلك الحُلم. وظلا يسعيان للتلاقي رغم كل عائق ورغم كل غريب في الأمر، ورغم كل ما كان يؤكد استحالة اللقاء، وليقينهما في اللقاء ورغبتهما فيه كان للقدر رأي في الأمر، حيث حكى نور الدين قصة حُلمه للسلطان شهريار والوزير دندان حينما كانا متنكرين في زي تُجار، وأمر السلطان المنادين بأن يسيروا منادين بقصة حلمهما حتى يجمع بينهما، وقد كان. وأمر السلطان بتزويجهما، وخصص لدنيا زاد جميع مخصصاتها من بيت المال.

٨_ مكر النساء ودهائهن:

وهو عنصر مهم من العناصر الرئيسية التي ذُكِرَت كثيرا في ألف ليلة وليلة، وكان للنساء دهاء وذكاء وحيل لا يقو على ردها ولا النجاة منها ولا منعها حتى العفاريت، كما ذُكر في حكاية شهريار وأخيه شاه زمان مع (سيدة الحرائر)، حيث إنهما لما علما بخيانة زوجتيهما، أخذا قرارا بأن يجوبا البلاد حتى يريا ما إذا

كانت خيانة زوجتيهما تتوقف فقط عليهما؟! أم أن الأمر متفش بين النساء؟! وقد خرجا سويا، ولقيا العفريت ومعه صندوق به سيدة هي (سيدة الحرائر) مثلما ذكرنا من قبل.

وقد تأثر نجيب محفوظ بذلك العنصر أيضا، لكن لا يمكننا هنا أن نقتصر فكرة مكر النساء ودهاءهن في جانب الشر فقط، فهناك مكر في الخير والنجاة، وهو الذي تمثله القصة الإطار للرواية، والتي هي نفسها القصة الإطار في ألف ليلة وليلة، وهي قصة شهريار وشهرزاد، فقد استخدمت شهرزاد ذكاءها حتى استطاعت أن تُسيطر على شهوة الدم والقتل في نفس شهريار، وجعلته يوما بعد يوم يستمع إلى قصصها، ويمهلها يوما بعد يوم، وليلة بعد ليلة حتى تحكي له المزيد والمزيد من القصص والعبر والحكم، وبالفعل أمهلها ألف ليلة وليلة للحكايات، وفي النهاية عفى عنها، وعن كل نساء وعذارى السلطنة.

٢ــ وثاني تجسد للمكر والدهاء للنساء، ولكنه في الشر فكان فيما يتعلّق بالعفريتة زرمباحة، فعلى الرغم من كونها عفريتة إلا أنها أنثى حسب ما ذكرت الرواية، وكان أول فعل ماكر قامت به هو الحيلة الذكية الماكرة التي جمعت فيها بين دنيا زاد ونور الدين في الحلم في علاقة زوجية مثلما ذكرنا في عناصر أُخرى.

٣ــ ثم في حكاية عجر الحلاق مع جلنار وزهريار أختي يوسف الطاهر، حيث كانت بداية الحكاية العلاقة التي قامت بين عجر والأخت الكبرى جلنار، ثم أعجب بالصغرى، وحينما حانت الفرصة في يوم ما بعثت الأخت الكبرى جلنار، الأخت الصغرى زهريار للبيت الذي تقابلا فيه حتى تعتذر عن غياب جلنار لمرضها، وحينما طارحها عجر الغرام قتلتها وهو نائم. وقد كانت تلك هي حيلة من جلنار حتى توقِع بأختها وعجر بسبب غيرتها المفرطة.

٤ــ وفي حكاية أنيس الجليس يتبدى لنا المكر والدهاء في أبهى صورة، حيث تصورت العفريتة زرمباحة في صورة امرأة غاية في الجمال والبهاء والسحر، سحرت جميع رجال السلطنة تقريبا، الكل تسابق حتى يحصل عليها، ودفعوا في إثرها كل ثرواتهم أملا في الوصل الذي لا ينقطع أو الامتلاك إلا أنها بلا ملكة. "باتت الدار الحمراء بسوق السلاح قبلة لحسام الفقي وحسن العطار وجليل البزاز وغيرهم.. حملت الهدايا في أثر الهدايا، وسلبت القلوب والجوانح، وتاهت العقول وشردت، وسيطر الإسراف والسفه، ونحيت العواقب وتلاشى الزمن فلم تبق إلا الساعة الراهنة، ومضت الدنيا تضيع في إثر الدين"[١٧].

وسقط كل الكبراء في حبها والجنون بها، وفقدوا ثرواتهم وأول من سقط كان حسام الفقي، ثم جليل البزاز، ثم حسن العطار، أما يوسف الطاهر فترنح على حافة الهاوية.

مما أدى إلى ارتكاب جريمة قتل على باب دارها الدار الحمراء، حيث إن حسام الفقي لما أفلس لم يُفتح له باب الدار فلم يعد له فائدة تُرجى! وغضب غضبا شديدا، وسرعان ما لمح يوسف الطاهر يدخل

الدار فحاول الدخول على إثره، فمنعه العبد الأسود فلطمه على وجهه، ولما نصحه يوسف الطاهر بالتعامل بلياقة طعنه في قلبه بخنجر مسموم. ولما قُبض عليه أسف عليه (بيومي الأرمل) فقال له الفقي: "لا تأسف يا بيومي، ما هي إلا قصة قديمة يستدفئ بها العجائز. قصة الحب والجنون والدم"[١٨]. وقد كان هذا هو غرضها من الأساس (الفتنة) والإيقاع بكل رجال السلطنة، فأوقعت الجميع في حبها والجنون بها والولع، والإفلاس، وفقدان كل عقل، ومنطق، وحكمة، وهيبة.. حتى القتل في سبيلها، ونهب أموال المسلمين.

وفي ليلة واحدة أوقعت بالمعين بن ساوي، وكاتم السر الفضل بن خاقان، وسليمان الزيني، فضربت لهم مواعيد متتالية وراء بعضها، وكذلك أوقعت بنور الدين، والوزير دندان، والسلطان شهريار!! وخدعتهم، وانتهت الخديعة بأن خرجوا جميعا من بيتها عريا في ظلام الليل يتخبطون في الخزي والعار والشعور بالذنب، وفقدان الكرامة، والكبرياء، والشرف، كل ذلك بعدما أوقعها المجنون (جمصة البلطي) في شر أعمالها، فجاء دورها لتتعرى مثلما تعرى الرجال، ثم لم يمهلها وأفناها بتلاوة خفيفة من شفتيه..

٩_ الحكايات عن الخضر:

وتلك من العناصر المنتشرة بكثرة في حكايات ألف ليلة وليلة، وقد ذُكرت في القرآن الكريم أيضا، وكثيرا ما استلهمت حكايات وقصص متعلقة بالخضر في الكثير من الروايات الأوروبية، وهو ما تحدثنا عنه في المبحث الأول. وقد تحدث عنه نجيب محفوظ بإيجاز شديد في الرواية، حيث جاء على لسان الشيخ عبد الله البلخي وهو يحادث علاء الدين أبو الشامات ويحكي له قصة رويت عن لسان (الوراق) أن شيخه كتب "كتابا في التصوف لا يمكن أن يناله إلا الكامل فطلبه مني أخي الخضر وقد أمر الله المياه أن تأتيه به"[١٩]. وكما نعلم فهناك الكثير من القصص التي نُسبت للخضر في الكثير من الحكايات سواء في رواية نجيب محفوظ، أو في ألف ليلة وليلة أو في القصص العربي أو الأوروبي.

١٠_ الحكم والمواعظ:

وهي من الصفات الرئيسية في قصص ألف ليلة وليلة، فكان المقصود بداية من القصص هي الحكم والمواعظ والإرشادات في الحياة، فكل حكاية تُحكى لمغزى ما تعليمي للناس، ولإيعاظهم، ولتعليمهم كيف تسير الحياة، فلربما يستطيعون تحاشي الكثير من الأخطاء والمشكلات التي وقعت فيها شخصيات الحكايات، وكانت الحكمة تأتي في صورة حكاية كاملة هي نفسها الحكمة مثل قصة (الصياد والعفريت) حيث إنه كان هناك صياد يرمي الشبكة يوميا أربع مرات حتى يجلب رزقه من السمك، وفي ذات يوم رمى الشبكة أول مرة فخرج فيها حمار ميت، فنزعه عنها واستغفر ربه، ورماها مرة ثانية ثم أخرج زيرا كبيرا مليئا بالرمل والطين، ثم رماها ثالث مرة فخرج فيها شقافة وقوارير، ثم رفع رأسه للسماء ودعا الله ثم رمى شبكته وأخرج فيها قمقما

من نحاس ومختوم بختم النبي سليمان، وخرج منه عفريت كبير عملاق، وإذا به مصر على قتل الصياد جزاء له على ما أخرجه وخلصه من سجنه في القمقم من زمن النبي سليمان، وعبثا حاول الصياد إقناعه بالعدول عن قتله، وفي النهاية قال له الصياد لكني لا بد أن أتأكد أنك بكل حجمك العملاق هذا كنت بالفعل في القمقم لأني لا أصدق، وإذا بالعفريت يمتثل لرغبته حتى يجعله يصدق، فلما دخل العفريت القمقم، أغلق عليه الصياد القمقم عقابا له عما كان يريد من قتله. وكانت العبرة والعظة هنا هو أنه هناك من البشر أو العفاريت من تحسن إليه وهو مسيء إليك ولو بعد حين.. إلى أن انتهت القصة بأن أخرج الصياد العفريت وساعد العفريت الصياد على الثراء طيلة حياته..

وهناك أيضا الحكم والمواعظ التي تأتي في شكل أقوال مأثورة أو أبيات شعرية أو أمثال، مثل:

"فعلنا جميلا قابلونا بضده وهذا لعمري من فعال الفواجر

ومن يفعل المعروف مع غير أهله يجازى كما جوزي مجير أم عامر[٢٠]

_"ما خلا جسد من حسد.. والظلم كمين في النفس القوة تظهره والعجز يخفيه"[٢١]

_"من لم ينظر في العواقب فما الدهر له بصاحب"[٢٢]

"تحكموا فاستطالوا في حكومتهم وعن قليل كأن الحكم لم يكن

لو أنصَفوا أُنصِفوا لكن بغوا فبغى عليهم الدهر بالآفات والمحن

وأصبحوا ولسان الحال ينشدهم هذا بذاك ولا عتب على الزمن"[٢٣]

أما عن المواعظ والحكم والأمثال الحياتية التي ظهرت في رواية نجيب محفوظ فنجد ما يلي:

_ "فساد العلماء من الغفلة، وفساد الأمراء من الظلم، وفساد الفقراء من النفاق"[٢٤]..

_ وفي نُصح الشيخ عبد الله البلخي لعلاء الدين أبو الشامات: ط فلا تكن من قرناء الشياطين.. فتساءل مدفوعا بشوق ساخن:

من هم قُرناء الشياطين؟

فأجابه الشيخ:

_ أمير بلا علم، وعالم بلا عفة، وفقير بلا توكل، وفساد العالم في فسادهم"[٢٥].

١١_ استغلال المناصب للمآرب:

وهي عنصر مهم من العناصر التي نجدها في الكثير من قصص ألف ليلة وليلة، مثل قصة (الملك يونان والحكيم رويان) والتي تحكي أن هذا الملك أُصيب بمرض البرص ولم يقو على علاجه أيا من الأطباء أو الحكماء على إطلاقا، إلى أن جاء إلى بلده حكيم يُدعى رويان، وقد كان هذا الحكيم يملك من العلم والمعرفة والطب الكثير، ولما علم بمصاب الملك حزن حزنا شديدا وقرر أن يعالجه، وبالفعل تواصل مع الملك وعالجه وبرأ الملك

من مرضه تماما دون أن يأخذ أيا من العلاجات أو الدهانات، ولذلك خلع الملك عليه الكثير من الهدايا والأموال وأعطاه مكانة عظيمة بجانبه وجعله صديقه ونديمه وكلما رآه أغدق عليه الهدايا والأموال، مما أثار غيرة وحسد وحقد وغل أحد وزراء الملك القُدامى، وقرر ذلك الوزير أن يستغل منصبه كوزير للملك وأن يوقع فيما بين الملك يونان والحكيم رويان، وذهب إليه في زي محب ناصح، وظل يحادث الملك في أنه يأمن لشخص ربما يؤذيه ويكن له السوء والغدر، ولا يجب عليه أن يأمن له، وأن هذا الوزير يخاف عليه من أي أذى، وظل في نقاش معه ويحكي له الحكايات حتى اقتنع الملك الذي ما كان مقتنعا أبدا بحديث الوزير في البداية، بل إنه كان يرى أن الوزير جاء إليه حاسدا حاقدا ضامرا للشر للحكيم. ثم نصحه الوزير أن يطلبه على الفور وإذا أتى يضرب عنقه فيكفي شره، واستحلفه الحكيم طويلا أن يبقيه فيبقيه الله وألا يقتله فيقتله الله. وفي النهاية يصر الملك على قوله ويقتل الحكيم، وقبل قتله يهديه الحكيم كتابا مسموما ويطلب منه بعد قطع رأسه أن يفتح أول ٦ ورقات من الكتاب ووجد الملك في ذلك صعوبة وفي النهاية فتحها، ولم يجد شيئا مكتوبا، إلا أنه سرعان ما يشعر بالسم يسري في عروقه ويموت الملك مثلما قتل الحكيم.. وكل ذلك قد حدث بسبب الوزير المليء بالحسد والحقد والغيرة الذي استغل منصبه حتى يوقع بين الملك والحكيم غيرةً من الحكيم.

وتقريبا في جميع قصص رواية نجيب محفوظ (ليالي ألف ليلة)، حيث نجد أن كل صاحب منصب له علاقات مشبوهة مع آخرين، يحصل من ورائها على مآرب شخصية له، وأن الظلم في الحكم متفش مع الحكام جميعهم، وعلى رأسهم السلطان شهريار ذاك الذي أنهى حياة الكثيرات من العذارى، والكثير الكثير من الشرفاء، الذي غالبا ما كان ينطق بحكم قطع الرأس الذي بدوره من ضمن الصفات التي استلهمها محفوظ في روايته من ألف ليلة وليلة، فمعظم أصحاب المناصب قُطِعَت رؤوسهم..

والظلم كان دائما سيد الموقف في معظم القضايا، فقبل إلقاء القبض على المتهم الحقيقي في القصص غالبا ما يُتهم شخص بريء يُلقى القبض عليه وضربه، أو محاكمته وقتله، مثل قصة علاء الدين أبو الشامات فعندما تزوج بزبيدة ابنة الشيخ عبد الله البلخي كان هذا الحدث مما أغضب حبظلم بظاظة وأبيه كبير الشرطة درويش عمران، وذلك لأن حبظلم طلب من الشيخ أن يتزوج ابنته والشيخ شكره ورفض، وكادوا له كيدا, وألفقوا له تهمة وحُكِمَ بالقتل.

وكذلك إلقاء القبض على الكثيرين وتعذيبهم أشد العذاب للاعتراف بجرائم لم يرتكبوها وبالفعل هناك الكثيرون الذين يعترفون بأشياء لم يفعلوها فقط لدفع الأذى عن أنفسهم. وهناك بعض العناصر التي استلهمها نجيب محفوظ من ألف ليلة وليلة في روايته (ليالي ألف ليلة)، ويمكننا الحديث عنها بإيجاز شديد:

أسماء الشخصيات: فقد استلهم نجيب محفوظ الكثير من أسماء شخصيات ألف ليلة وليلة، منها الأسماء الرئيسية وأسماء أخرى، ومنها أسماء ربما ابتكرها على ذات الوزن، أو ذات الفكرة من ألف ليلة وليلة (شهريار_ شهرزاد_ دنيازاد_ أنيس الجليس_ قمر الزمان_ نور الدين_ علاء الدين _ شبيب رامة _ زرمباحة_ سخربوط_ قمقام_ سنجام_ عبد الله البري_ عبد الله البحري_ السندباد _ معروف الإسكافي، وغيرها).

_ المحاكمة على الملأ في ميدان عام. وتعليق الرأس المقطوع كعبرة للناس.

_ الممالك تحت الماء، حيث لم يُذكّر كثيرا عنها في الرواية إلا أننا نعرف عبد الله البحري الذي أنقذ عبد الله الحمال وحوله إلى الشخص عبد الله البري حتى ينجو برأسه من رجال الشرطة بعدما قتل عدد من رجال الأمن. وكذلك عندما تحدث مع المجنون ذات يوم وقال له أن الحياء شرط أساسي من شروط عشرة يجب أن تتوفر في الحاكم في ممالك الماء.

الهوامش:

[1] – نجيب محفوظ: ليالي ألف ليلة، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٥م، ص١٠

[2] – المرجع السابق، ص ١٧

[3] – المرجع السابق، ص ٢٠

[4] – المرجع السابق، ص ٢١

[5] – ألف ليلة وليلة، طبعة سعيد الخصوصي، مج ١، المطبعة السعيدية، القاهرة، مصر، د.ت، ص ١٤

[6] – نجيب محفوظ: ليالي ألف ليلة، مرجع سابق، ص ٧١

[7] – المرجع السابق، ص ١٠٤، ١٠٥

[8] – المرجع السابق، ص ١٠٥

[9] – ألف ليلة وليلة، طبعة سعيد الخصوصي، مرجع سابق، ص ٥

[10] – ألف ليلة وليلة، مرجع سابق، ص ٥

[11] – نجيب محفوظ: ليالي ألف ليلة، مرجع سابق، ص ٨٣

[12] – المرجع السابق، ص ٨٤

[13] – المرجع السابق، ص ٢٠٣

[14] – المرجع السابق، ص ١٢٦

[15] – المرجع السابق، ص ١١١

[16] – المرجع السابق، ص ١١١

[17] – المرجع السابق، ص ١٧٧

[18] – المرجع السابق، ص ١٨٠

[19] – المرجع السابق، ص ٢١١

[20] – ألف ليلة وليلة، طبعة سعيد الخصوصي، مرجع سابق، ص ١٥

[21] – المرجع السابق، ص ١٨

[22] – المرجع السابق، ص ١٨

[23] – المرجع السابق، ص ٢٢، ٢٣

[24] – نجيب محفوظ: ليالي ألف ليلة، مرجع سابق، ص ٢١٢

[25] – المرجع السابق، ص ٢١٢

المصادر

- ألف ليلة وليلة، طبعة سعيد الخصوصي، مج ١، المطبعة السعيدية، القاهرة، مصر، د.ت
- نجيب محفوظ: ليالي ألف ليلة، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٥م